في شرح صدر الحكماء الانسان مختص من بين المواليد الثلثه بالنفس الناطقه المشاركه للنفس الحيوانيه والنباتيه في افعالهما الممتازة عنهما
بادراك الامور الكليه وصدور الاعمال الفكرية فلذلك عرفها بانها كمال اول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الامور الكليه وتفعل الافعال الفكريه فقوله
من جهة ما يدرك الخ يخرج النفس عن التعريف وباقي القيود مشترك بين التعريفات الثلثة من غير فرق فللنفس الناطقه باعتبار ما تخصها من
الاثار قوتان قوة عاقلة بها يدرك التصورات والتصديقات البديهيه والكسبيه اى الامور التصورية والتصديقية التي تحصل
بالبديهة او الكسب وقوة عاملة بها يتحرك البدن الى الافعال الجزئيه بالفكر والروية على مقتضى آراء تخصها ومعنى
قوله على مقتضى آراء تخصها ان الاعمال الجزئيه انما تصدر عن القوة العاملة بواسطة ان الانسان
يفكر ويودي فكره الى راى واعتقاد مختص بعمل من الاعمال الجزئيه ويقتضي صدورها

كذلك ليس قول القايل الشكر لله بل صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى عليه من السمع
والبصر وغيرهما الى ما خلق واعطاه لاجله كصرفه النظر الى مطالعة مصنوعاته والسمع الى تلقي
ما ينبئ عن مرضياته والاجتناب عن منهياته وعلى هذا يكون الحمد اعم من الشكر مطلقا لعمومه
النعم الواصلة الى الحامد وغيره واختصاص الشكر بما يصل الى الشاكر والهداية الدلالة على ما
يوصل الى المطلوب والغباوة عدم الفطنة والغواية سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب والالهام القا
معنى في القلب بطريق الفيض والحق حال القول او العقد المطابق للواقع بقياسه اليه اعني كونه مطابقا
للامر الواقع واذا قيس الى الواقع فهو الصدق اى كونه مطابقا له اذا تمهد هذا التصوير فنقول
للنفس الناطقه قوتان نظرية وعملية ويمكن حمل قراين هذه الخطبة على مراتبها في كل
واحدة منهما اما مراتب القوة النظرية فلان النفس في مبدا الفطرة خالية عن العلوم لكنها
مستعدة لها والا لامتنع اتصافها بها وح يسمى عقلا هيولانيا تشبيها لها بالهيولى
الخالية في نفسها عن جميع الصور القابلة اياها ثم اذا استعملت آلاتها اعني الحواس الظاهرة
والباطنة حصل لها علوم اولية واستعدت لاكتساب النظريات وح يسمى عقلا بالملكة لانها
حصل لها بسبب تلك الاوليات ملكة الانتقال الى النظريات ثم اذا رتبت العلوم الاولية
وادركت النظريات مشاهدة اياها سميت بالعقل المستفاد لاستفادتها من العقل
الفعال واذا صارت مخزونة عندها وحصلت لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير
تجشم كسب جديد فهي العقل بالفعل ولما كان للانسان في مبدا الفطرة المرتبة الاولى والآلات
تحصيل المرتبة الثانية اى المشاعر الظاهرة والباطنة وهي كلها نعم يجب الحمد والشكر عليها
حمد الله على عطايه اياها اشارة الى المرتبتين وقوله ونسالك هداية الهداية اشارة
الى المرتبة الثالثة فان تحصيل المطالب النظرية من مباديها يتوقف على هداية الله تعالى
الى سواء الطريق اذ الطرق متعدده والتميز بين الصواب والخطاء لا يتم بمجرد الطاقة البشرية
ولما كانت الهداية وان اقتضت حصول المطالب غير كافية فيه بل لا بد معها من ارتفاع
الموانع كالغباوة والغواية استعاذ به عنهما وقوله ونبتغي منك اعلام الحق والهام الصدق اشارة
الى المرتبة الرابعة لان ملكة الاستحضار لا تحصل الا بعد اعلامات متتالية والهامات متوالية

وفيه اشعار بان المبدا الفياض للصور العقلية خزانة حافظة لها على ما تقرر في علم الحكمة
ثم كرر الاشارة الى المراتب الاربع بان رتب اربع قراين بازاء كل قرينة واحدة لتعلل الماتمس فيها
وكانه قال انما حمدتك على المرتبة الاولى لان استعداد العلوم ليس الا من حضرتك وعلى المرتبة الثانية
لان دراية العلوم الاولية فيها المعدة نحو اكتساب الثواني يمتنع حصولها الا بالهامك واعطائك
سالتك الهداية في تحصيل النظريات لانحصار العلم والحكمة فيك واعلام الحق والهام الصدق
لانك الجواد الحق والكريم المطلق واما مراتب القوة العملية فاوليها تهذيب الظاهر باستعمال الشرايع
النبوية والنواميس الالهية المشتملة على جلها بل على كلها معنى الحمد والشكر حسب ما حققناه وثانيها
تهذيب الباطن عن الملكات الرديه ونفض آثار شواغله عن عالم الغيب وذلك لا يتم الا بهداية
الله تعالى فصرفه النفس عن الغواية وثالثها ما يحصل بعد الاتصال بعالم الغيب وهو
تحلي النفس بالصور القدسية ولا يكون ذلك الا بالهام الحق واعلام الصدق ورابعتها ما يتجلى
له عقيب اكتساب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكلية وهو ملاحظة جمال الله
وجلاله وقصر النظر على كماله حتى يرى كل قدرة مضمحلة في جنب قدرته الكاملة وكل علم
مستغرقا في علمه الشامل بل كل وجود وكمال انما هو فايض من جنابه والى هذه المرتبة اشار
بحصر العلم والحكمة والجود فيه قال ونبتهل اليك في ان نصلي على سيد المرسلين اقول
من القضايا المذكورة في العلوم الحقيقية ان استفادة القابل من المبدا تتوقف على مناسبة
بينهما وكثيرا ما يستعملها الحكماء في كتبهم منها انهم قالوا في المزاج ان انكسار الكيفيات
المتضادة واستقرارها على كيفية متوسطة وحدانية يوجب ان يكون لها نسبة الى المبدا
الواحد بسببها يستحق ان يفيض على الممتزج صورة او نفس وكلما كان المزاج اعدل كان الى
الواحد الحقيقي اميل كانت النفس الفايضة عليه بمبداها اشبه ومنها قولهم ان النفوس
الفلكية تستخرج بسبب تحريكاتها الاوضاع الممكنة من القوة الى الفعل فيحصل لها بواسطة
ذلك مناسبات الى المبادي العالية التي هي بالفعل من جميع الوجوه فيفيض عليها من تلك المبادي
الكمالات اللايقه بها الى غير ذلك من المواضع ولها مثل في المواد الجزئية لا تكاد تنحصر ولما كان
النفس الانسانية منغمسة في العلايق البدنية مكدرة بالكدورات الطبيعية وذات

Copyright © King Saud University